الرسالة الإسلامية

مجلة إسلامية
شهرية جامعة
تعنى بشؤون الفكر الإسلامي
تصدرها : وزارة الأوقاف في العراق

رئيس التحرير المسؤول : عبد الله الشيخلي
سكرتير التحرير : عبد الله الجبوري
عضو هيئة التحرير : حبيب الهرمزي

توجّه المراسلات والحوالات باسم رئيس التحرير

العددان : ١٠٤ـ١٠٥ — السنة العاشرة
جمادى الاولى ـ جمادى الثانية — نيسان/مايس/حزيران
١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م

مسجلة بدائرة البريد برقم "١٥" رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٧٤

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٥٧٧٥
التاريخ ١٧/٦/١٩٨٤

بعض مزاعم المستشرقين

بقلم : الدكتور كمال نشأت

الاستاذ المشارك بالجامعة المستنصرية

يسفر التعصب الاعمى ويستعلن جهرا فيما يدلي به بعض المستشرقين من آراء مغرضة في مؤلفاتهم التي تهدف أكثر ما تهدف الى تشويه الدين الحنيف وتسفيه المسلمين . وليس بخاف ان حركة الاستشراق تقوم على اساس من دراسة البيئة العربية جغرافيا واقتصاديا ودينيا وثقافيا الخ توطئة لفهم عقلية الشعب العربي والعوامل المؤثرة فيها حتى تسهل سيطرة القوى الاستعمارية عليها . ومن هنا كانت هذه الرحلات الكثيرة التي جاب فيها بعض هؤلاء المستشرقين البلدان العربية واخفاؤهم جنسياتهم ودياناتهم كما يحكى مؤلف (تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية ـ ط٢ـ ص٢٤) وهذا لا يمنع أن هناك علماء من هؤلاء المستشرقين اتبعوا المناهج العلمية وبعدوا بابحاثهم عن الهوى وهم قلة قليلة منحت العلم حياتها وأدت خدمات جليلة للدين الاسلامي وللغة العربية وعلومها وآدابها .

ان الاتهامات التى حاول بعض هؤلاء المستشرقين توجيهها الى الشريعة السمحاء كثيرة مختلفة ومن صورها مادار من نقاش بين (رينان) وبين الشيخ محمد عبده .

على ان المسيحية وان كانت قد نصت على ان الناس أخوة ودعت الى المحبة والمسالمة الا انها لم تنص نصا صريحا على الغاء الاسترقاق ولقد اوصى بولس الارقاء في رسالة الى الافسيين الا يشقوا عصا الطاعة ضد مواليهم ، كما امر المسيحيين ان يعاملوا الرقيق معاملة حسنة . اما القديس ايزيدروس فقد وجه الحديث الى الرقيق قائلا :

(انى لانصحك بالبقاء في الرق حتى لو عرض عليك مولاك تحريرك، لانك تكون قد خدمت مولاك الذي في السماء ومولاك الذي في الارض)

كما قال توماس الاكويتى : (ان الطبيعة خصصت بعض الناس ليكونوا أرقاء ..)

والرق نظام قديم عرفه الانسان من اقدم الازمنة ، عرفه الهنود والاشوريون والصينيون والعبرانيون والاغريق والرومانيون واعترف به المسيحيون كما رأينا ومع ذلك نرى بعض المستشرقين يقفون أمامه ظانين انه فرجة يستطيعون منها الهجوم على الاسلام والمسلمين مثلما فعل الكردينال (لافجيري) الذي اتهم المسلمين بالقسوة والظلم وندد بالشريعة السمحاء التى تعترف بنظام الرقيق قائلا : (ان المسلمين يرون ان اصطياد الرقيق حق لهم يكاد يكون واجبا عليهم ، وهو حق لهم لانهم يعتقدون ويقولون بان الاسود ليس من العائلة البشرية ، وانه متوسط بين الانسان والحيوان ، بل ان بعضهم يرونه ادنى من الحيوان مقاما ..) يقول الكردينال هذا الكلام المجانب للحق والحقيقة ـ فى الوقت الذي يعرف فيه ان الرق نظام قديم ، وان المسيحيين ـ وهو من رجال دينهم ـ يعترفون به ، وكان الاولى بهجومه هذه الاشتراعات التى سنها مسيحيون والتى كانت تعاقب الزنجي الرقيق بالعقاب البدني الصارم اوالقتل على اخف الاخطاء ، وقطع الاذان ان فر فى المرة الاولى ، والكي بالحديد المحمى في المرة الثانية ، والقتل فى المرة الثالثة ، ومن أسوأ الاحكام التي جاء بها المرسوم الصادر فى مارس ١٦٨٥ وسار عليه الغربيون انه عندما يرتكب المالك جريمة فى حق الرقيق ولو كانت جناية القتل يكون للقضاة الحرية في مراعاة احوال البراءة ، وان يبرءوا المتهمين الغائبين من غير حاجة لطلب العفو . وقد كتب (هليار دوبرتوى) يقول : (ان المرسوم لايمنع هلاك الارقاء فى كل يوم بسبب تكبيلهم بالسلاسل وضربهم بالسياط ولا من احراقهم عسفا واستبدادا ، وكل هذه الفظائع ترتكب ولا رادع يردع ، حتى ان كل ذي لون ابيض يعامل الاسود بالغلظة والقسوة ولا حرج عليه في ذلك ..) . كما انه لم تكن للعبد حرية التجول او الخروج من المزرعة التى يعمل بها ، وكان اذا اجتمع في الطريق العام اكثر من سبعة ارقاء يعتبرون مخالفين للاوامر وللابيض الذي يصادفهم في الطريق حق القبض عليهم وجلدهم عشرين جلدة . كان هذا هو الوضع الظالم للرقيق في الدول المسيحية ولكن (لافجيري) يتعامى عن كل هذه الحقائق فلم يجد تعصبه متنفسا يظهر فيه غله الا مهاجمة الشريعة السمحاء من هذه الناحية . ولو نحى تعصبه جانبا وعكف على دراسة الدين

الاسلامي بروح العالم العادل ودرس الحياة العربية الجاهلية لعرف الى أي حد نظم الاسلام حياة العرب عامة وأمر بمعاملة الرقيق المعاملة الحسنة . ولعرف ايضا ان الرق لم يقم عند المسلمين الا على أسرى الحروب وبذلك ضيق الاسلام نطاقه على عكس ما كان سائدا خاصة في امريكا مثلا فقد كانت مصادره متعددة . وقد ورد فى الكتاب العزيز قوله سبحانه : (**وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت ايمانكم ..**) ويذكر الامام الغزالي في كتابه الاحياء ما نصه من حقوق المملوك (ج٢ـ ص١٩٩ ـ طبع بولاق) (فأما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لابد من مراعاتها، فقد كان من آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم .. اطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من الحمل مالا يطيقون فما احببتم فأمسكوا ، وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولوشاء لملكهم اياكم ..) .

وقال ابن عمر سمعت رسول الله (صلعم) يقول : (من لطم مملوكه او ضربه فكفارته عتقه) الا اذا كان هذا الضرب عقابا للتقصير في الواجبات الدينية فقد قال (صلعم) .. (اضرب عبدك اذا عصى الله واعف عنه اذا عصاك ..) والشواهد التاريخية كثيرة ، وكلها تثبت ان المسلمين كانوا رحماء بالرقيق ، حفظوا لهم انسانيتهم ، واعترفوا لهم بحقوقهم . .

د. كمال نشأت